الوقف في اللغة العربية
-في القرآن الكريم والشعر العربي-

الأستاذة : مرتاض ز.سريرإلهام
أستاذة مكلفة بالدروس بقسم اللغات الأجنبية

لقد أوقفتنا آية قرآنية مرات عديدة لم تنقص جمالا عن باقي آيات القرآن الكريم ولكنها اختصت أساسا بالكلمة وكتابتها التي لاتنتهي إذا جف القلم وإن ملئ منه بحرا من المداد لقوله تعالى ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ﴾ (سورة الكهف، الآية 109). هو كتاب قدسي يفوق أسمى عبارات التعبير وتفتقر أغنى التراكيب أمامه وتخضع أقوى الأساليب له ولحسنه ولسحره؛ فالقرآن بيّن لنفسه مبيّن لغيره مما حفزفطاحلة من العلماء في الفقه واللغة على دراسته والتمعن في أسراره ومن بين أكثر ما شددوا على دراسته هو الوقف عند قراءة القرآن لصلته الوثيقة بالمعنى السامي الذي تهدف إليه الآية الكريمة؛ فجاء هذا البحث مناسبة نستطلع فيها بصورة وجيزة بعض قواعد الوقف في تلاوة القرآن الكريم وما ورد من أنواع له في بعض أقاويل وأشعار العرب.

1 - مقدمة

من نافذة بحثنا تهب ريح برية لا شرقية ولا غربية لتسمعنا قطرات الندى الصباحية وتسقط من الشجر أوراقا خضروية تتراكم في تلك الناحية لتقول في أدب وعفوية: يا أيها الملأ! إليكم هذا النبأ، هل منكم من قرأ، ختم أو ابتدأ، بكتاب تلألأ بإحكام وتهيأ بين أيدي قراء وفقهاء وعلماء شهدوا له وتقربوا منه وانعكفوا عليه، في صدورهم حفظوه وفي عقولهم وزنوه وبأيديهم نسخوه، هو كتاب في الحسن موصوف وفي الأدب معروف كتاب الله عز وجل بآيات وسور محكمة بقواعد صوتية وصرفية ونحوية التي نستطلع منها الجزء القليل وهو شعاع خافت يصلنا من مصباح مضيء طالما عمل على إشعاله أجدادنا من السلف الصالح - ثيب الله ثراهم.

إن موضوع بحثنا يستعير من الدقة شيئا ومن البلاغة الشيء الآخر ليسطو على الكلمة فيؤدي معناها ويوضح مغزاها، هو موضوع الوقف في اللغة العربية مع الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر القديم ومنه ما يقول ابن الجزري في قواعد القرآن الكريم:

إن هـــــذه مـــقـــدمـــة * فيما عـلـى قـارئـه أن يعلـمـه
إذ واجب عليـهـم مـتحتـم * قبل الشـــروع أولا أن يعـلـمـوا
مخارج الحـوف والصفـــات * لـيلفظـوا بأفـصح الـلغـــات
محرري التجويد والمـواصـف * ومـالذي رسـم في المصـاحـف
من كل مقطوع وموصول بـها * وثـاء أنثى لم تكـن تكتب بها

فالقرآن الكريم من أهم الحوافز التي ساعدت على إبداع اختصاصات لغوية وعلمية شتى وكان الترخيص بقراءته بأكثر من قراءة أحد العوامل في تدبر العلماء في تراكيبه وأصواته ولهجاته وكان من ضمن عشرات العناوين التي دارت دراستها حول القرآن والوقف والابتداء مثل: حمزة وابن سعدان وهشام بن عبد الله وأبو عبد الرحمن اليزيدي وابن الأنباري وابن المقسم وسيبويه وابن فارس وابن يعيش والسيوطي وابن الجزري الذي قال إن «أول من نبه على المراقبة في الوقف أبو الفضل الرازي أخذه من المراقبة في العروض» (السيوطي 1951: 87).

إن جميع هؤلاء الفقهاء والعلماء بدلوا جهدهم في سبيل انجاح دراسة صوتية نغمية لأن القرآن الكريم لا يجود إلا وتصحبه غُنة وهي خروج الصوت من خياشيم المجود فيقول عليه الصلاة والسلام **«ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن»** وفسر العلماء معنى الحديث بأنه تخزين القراءة وترقيقها وفي حديث صحيح **«زينوا القرآن بأصواتكم»** ؛ فكل من أبي جعفر النحاس والزجاجي والداني والعماني السجاوندي وابن الأنباري خلائق صنفت هذا العلم فيجده الامام جلال الدين السيوطي **«فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة»** أما ابن الأنباري فيقول «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء» وقد ثبت عن الإمام علي كرم الله وجهه من حيث وجوب الوقف في شرحه للآية الكريمة ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ (المزمل: الآية 4) قال «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقف». (السيوطي: 83)

2 - تعريف الوقف

* **لغة :** وقف بالمكان وقوفا واقف. وقفت الدابة سكنت، وقف عن الكلام سكت.

* **اصطلاحا :** هو قطع الصوت بمقدار ما يتنفس فيه المقرئ عادة بنية الاستئناف وليس الاعراض عن القراءة.

3 - أقسام الوقف

إتفق الأئمة أن للوقف أنواع ولكنهم اختلفوا في اصطلاحها فرأى ابن الجزري أن الوقف ثلاثة أقسام: تام وحسن وقبيح أما الحسن فيحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله الحمد لله لأن الابتداء برب العالمين لا يحسن لكونه صفة لما قبله وأما التام فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده: أولئك هم المفلحون. وأخيرا القبيح ليس تام ولا حسن وهو بذلك لا يؤدي المعنى كالوقف على بسم من بسم الله أو لا إله إلا الله: الوقف على إله نفي للألوهية وهناك أحوال لا يتم فيها الوقف بل يتصف بالقبيح وهي:

المضاف دون المضاف إليه والمنعوت دون نعته والرافع دون مرفوعه وعكسه والناصب دون منصوبه وعكسه والمؤكد دون توكيده والمعطوف دون المعطوف عليه والابدال دون مبدله ولا أن وكان أو ظن و أخواتها دون اسمها ولا اسمها دون خبرها ولا المستثنى منه دون الاستثناء ةلا

الموصول دون صلته اسميا أو حرفيا ولا الفعل دون مصدره ولا الحرف دون متعلقه ولا شرط دون جزائه.

أما غير الأنباري فصنفوا الوقف إلى أربعة أقسام: تام مختار وكاف جائز وحسن مفهوم وقبيح متروك؛ فالكاف الجائز هو المنقطع في اللفظ والمتعلق في المعنى (بعد لام كي- يئس- نِعم- سوف)، وهناك من تكلم عن الوقف اللازم كقوله «سبحانه أن يكون له ولد .وقف. له ما في السماوات وما في الأرض»(الآية) في هذه الآية الوقوف على ولد لازم وعلى له الثانية قبيح.

ولأئمة القراء مذاهب في الوقف والابتداء فراعى نافع تجانسهما بحسب المعنى وابن كثير وحمزة حيث ينقطع النفس وعاصم والكسائي حيث تم الكلام وأبو عمرو يتعمد رؤوس الآي وهو الأحب إليه كما يقول لأنه سنة فلقد روي عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقف كثيرا على رؤوس الآيات ليعلم السامعين آخر كل آية «روى أبو داود وغيره عن أم سلمة أن النبي ﷺكان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف»(السيوطي: 87) ولهذا سمى بعض العلماء هذا النوع بالوقف التعليمي؛ وعموما إن الوقف بأنواعه ضرورة من ضرورات إحكام القراءة في تلاوة القرآن تفاديا للوقوع في الشرك أو التكفير وإن كان من غير قصد جهلا بهذه المعايير المضبوطة من الأئمة والصحابة اقتداءا بالرسول عليه الصلاة والسلام ولهذا قال ابن مجاهد «لا يقوم بالتمام في الوقف الا نحوي عالم بالقرآت عالم بالتفسير والقصص وتخليص

بعضها من بعض عالم باللغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره وكذا علم الفقه» (السيوطي: 87).

4 - أوجه الوقف

ذكر النحويون والفقهاء ما يحدثه الوقف من تغيير للحرف فتحدثوا عن الوقف في أواخر الكلم والمقصور والخط والمهموز وإلى غيره من أوجه الوقف المتعددة.

الوقف على أواخر الكلم

يختلف الوقف على أواخر الكلم في كلام العرب فذكر السيوطي في تسعة وهي: الاسكان- الروم- الاشمام- الادغام- الحذف- الابدال- الاثبات- النقل- الالحاق.

وذكر سيبويه في الكتاب أربعة وهي: الاشمام- غير الاشمام(المجزوم-الساكن)- الروم- التضعيف؛ أما غيرها كالالحاق والاثبات والحذف والابدال فخص أبوابا لها ومنهذا العالم وذاك نستخلص النقاط التالية:

4-1 الاسكان

الأصل في الوقف هو السكون لا غير فكما كره العرب الابتداء بساكن كرهوا الوقوف على متحرك وهو اختيار الكثير من القراء كقولك: هذا خَالِدْ. وتحدث سيبويه عن التغيرات التي حدثت في كلام

العرب نتيجة ما ألزمه الوقف فتقول العرب في بَكْرْ هذا بَكُرْ وفي بَكْرْ في بَكْرِ؛ فالعرب تحرك ما قبل آخر الحروف لكراهيتهم التقاء الساكنين، واستثنوا هذه القاعدة من حروف المد كقولك هذا زَيْدُ وهذا عَوْنُ لأن كل من الياء والواو حرفا مد وكره العرب الضم والكسر في الياء والواو فتصبح هذا زَيُدْ وفي عَونْ (مستقلة ومرفوضة).

يقول الداني في التيسير في القراءات السبع «أعلم أن من عادة القراء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركات في الوصل بالسكون لا غير لأنه الأصل. ووردت الرواية عن الكوفيين وعن أبي عمرو بن العلاء بالوقف على ذلك بالاشارة إلى الحركة ...والاشارة تكون روما واشماما».

4-2 الرّوم

هو اضعاف الصوت بالحركة أو (صوت الحركة..) حتى يذهب معظمها فيسمع لها صوتا لا يدركه إلا الأعمى وهو النطق ببعض الحركة ونجد هذه الحالة في المرفوع والمضموم والمكسورولا توجد في المفتوح لخفة الفتحة أصلا فإذا ذهب بعضها ذهبت بسائرها ولهذا يقول سيبويه عن «الذين راموا الحركة بأنهم أرادوا تفريقها عن حال الاسكان فتحس بتنبيه على حركة الأصل».

4-3 الاشمام

أخذ مصطلحات مختلفة فكان الاشارة عند أبو عمرو وعند غيره هو

الامالة أو إشراب إلى الحركة من غير تصويت أو أن تجعل شفتيك على صورتهما ولا يتحقق لك هذا إلا في حال الضمك لأنه يتعذر في الفتح لخروج الفتحة بانفتاحهما والكسرة بانخفاضهما وسمي اشماماكقولك هذا خالِدْ كأنك تضم شفتيك ليس بدرجة الواو ولا بدرجة التحريك فاعتبر شمة من ضمة خفيفة وقد فرق سيبويه بين الرّوم والاشمام وقصد بذلك أولئك الذين راموا الحركة لتفريقها عن حال الاسكان واختلف التوكيد بين شديد وخفيف فرمز للروم بخط والاشمام بنقطة مثل هذا عُمَرْ (كأنك ترفع لسانك).

4-4 التضعيف

من العرب من ضعف الحرف وقصد في ذلك التوكيد الشديد لأنهم أرادوا اجتناب التقاء الساكنين «وهذه الفئة أشد مبالغة وأجمع» (سيبويه:168)، ولقد رمز للساكن ب'خ' نسبة للخفة وللشديد ب'ش' لأنه حرف من هذه الكلمة كما جاء في المثال التالي: خالِدْش وخالِدْخ.ضعف العرب في خالد لأنهم خشوا أن تسكن لام خالد ولم يضعفوا في عمر وزيد لأنهم تأكدوا أن آخره لا يسكن لأن العرب كرهت التقاء الساكنين فتركتهما على حالهم (فقط أشموا وراموا)؛ كما ضاعف العرب في الشعرمن ذلك ما قال رؤية

لقد خشيت أن أرى جدبا في عامنا ذا بعدما أخصباً

فعلوا هذا إذ كان من كلامهم أن يضاعفوا، حركت الدال بحركة الباء

قبل التشديد لالتقاء الساكنين وشددت باء أخصب للضرورة (سيبويه:168).

4-5 الابدال

سمي ابدالا لأنه يتم تغيير أو ابدال الحرف الموقوف عليه بحرف آخر فمثلا يوقف على الاسم المنصوب المنون بالألف بدلا من التنوين أما الاسم المفرد المؤنث بالتاء فيوقف عليه بإبداله هاءا مثل قولك حمزه وفاطمه وكذلك الهمزة المتطرفة بعد حركة فلقد سهلها حمزة وهشام بإبدالها حرف مد من جنس ما قبلها فإذا كان ما قبلها مضموما أبدلت واوا مثل لؤلؤا-كفؤا-نبيء-بدأ-يشاء فتصبح: لؤلوا-كفوا-نبي-بدا-يشا.

وتحدث سيبويه على ناس من بني سعد لأنهم وجدوا الياء خفيفة فأبدلوها بحرف مد من موضعها أي شبيه بها لكن أبين منها فكان أولى وهو حرف الجيم فيقولون في تميمي-عرباني-علي ما يوافق تميمج-عربانج-علج وقال أن من سمعهم حدثه يقولون

خالي عويف وأبو علج المضغمان الشحم بالعشج

بالغداة فلق البرنج(التمر).

4-6 النقل

هو تحويل حركة الموقوف عليه إلى ما قبله ونجد هذه الحالة في كل اسم

آخره همزة بعده ساكن، فعند حمزة يوقف عليه بنقل حركتها (حركة الهمزة) إلى ما قبلها فيحرك بها ثم تحذف هي مثل: ينظر المرُ- بين المرِ وزجه وذكر سيبويه أنه عندما كانت الهمزة بعد الحروف في الوقف حركوا ما قبلها فكان أبين لها.

4-6 الادغام

كل اسم آخره همزة بعد ياء أو واو زائد فإنه يوقف عليه عند حمزة بالادغام مثل: بريء- قروء لتصبح برّي- قرُّ

4-7 الحذف

يحدث في الياءات الزوائد وهي حسب حصر السيوطي لها مائة واحدى وعشرون (121) ياءا منها خمس وثلاثون في الآي والباقي في رؤوسها، ويوجد من العلماء من أثبتها وصلا ووقفا كابن كثير ويعقوب أما ابن عامر وعاصم فحذفوها في الحالتين: يهدي- الوادي تصبح يهدِ- الوادِ ويقول سيبويه في حالة الجر والضم أن العرب تحذف الياء والواو لأنهما حرفا مد أثقل من الألف ويزيد الثقل إذا صاحبتهما الكسرة والضمة فقال في القاضي القاض واعتبروا وجود الضمة بعد الواو أثقل من الكسرة لأن الياء أخف من الواو فيقولون في فَخِذُ فَخْذُ ورُسُلُ ولا يقولون جَمْلُ، وسألت الخليل عن القاضي في النداء فقال يا قاضي لأنه ليس بمنون وأما يونسَ فقال ياقاض وهذا أجود لأنه لما كان من كلامهم

الحذف في غير النداء كان في النداء أجدر لأن النداء موضع حذف (يحذفون التنوين يا غلام أقبل!) وجميع ما لا يحذف في الكلام يحذف في الفواصل والقوافي والفواصل كقول عز وجل والليل إذا يسر (الفجر آية) وما كنا نبغ (الكهف آية) أما في القوافي فيقول زهير :

وأراك تقري ما خلقت وبعْ ضُ القوم تخلق ثم لا يَفْرْ

وقد قرأ أبو عمرو في الوقف فيقول «ربي أهانن» (الفجر آية:16)، وقال الأعشى

فهل يمنعني أسيادي البلا د من حذر الموت أن يأتينْ

ومن شانئ كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

4-8 الاثبات

هو باختصار الابقاء على ما اتصل بالكلمة ونجده في الياءات المحذوفة وصلا والمثبتة وقفا، فرغم ثقل الواو والياء على العرب إلا أن منهم من أثبتها فقالوا هذا زيدُو وهذا عَمْرُو وعَمْري، وذكرالسيوطي أن واقٍ وباقٍ محذوفة وصلا ومثبة وقفا واعتبر سيبويه اثبات الياءات والواوات أقيس الكلامين.

4-9 الالحاق

فيما يلحق آخر الكلم من هاء السكت فهناك من الأئمة من يلحقها في عمّ- فيم- بم- لم- مم- والنون المشددة من جمع الاناث هن- والنون

المفتوحة المفلحون والمشدد المبني ألا تعلوا علي وخلقت بيديّ؛ وعندما كان هدف العرب في قواعدها التبيان والوضوح ألحقت الهاء بالأسماء التي انتهت بياء لا محل لها من الاعراب كقولك هذا غلامي - غلاميه من بعديه وقالوا في الضميرين الغائبين هو وهيه.

ياء هي وواو هو لا تصرف للاعراب فكرهوا تسكينها وقد يتساءل بعضنا لماذا لم يلحقوا الهاء في أنا ضمير المتكلم، فيجيبنا سيبويه أن الألف استعملت في الوقف كما استعملت الهاء لأنها أقرب المخارج إلى الألف وهي شبيهة بها. وهناك من العرب من يلحق الهاء في حال الجزم عند الوقف فيصبح الفعل محركا لا مجزوما كقولك لم يغزه- لم يرضه- إرْمِهْ. وقد اعتبر سيبويه الاسماء التي تنتهي بنون الاثنين أو الجمع خفية فتلحق بها الهاء فتستبين حركتها كقولك هُنَهْ- مسلمونهْ- ضاربانه.

4-10 حالات أخرى

كما أن للوقف حالات أخرى مثل أن تقف على الهاء في قولك هذه جاريه وهذا طلحه (سلوم:61) ولو أن قبيلة طيء وقفت بالتاء فتقول جاريت وطلحت وكما نعلم كرهت العرب التقاء الساكنين فلما سبقت الهاء ساكن عندما وقفوا على الهاء حركوا ما قبلها بحركتها كقول الشاعر زياد الأعجم

عجبت والدهر كثير عجبه من عنزي سبني لم أضربه

وهناك الوقف على الهمزة أو المهموز كوقف الحجازيون بحذف الهمزة

في الخبا من الخبأ والرد من الردء ويقول سيبويه أن تميم وأسد يلقون على الساكن الذي سبق الهمزة حركتها فذلم ابين لها لأن الهمزة أبعد الحروف واخفاها في الوقف (فحركوا ما قبلها بحركتها) فقالوا هو الوُثُؤْ من الوَثِئْ-الوَثَأْ ولم يهمز في صلاته المقرئ عمرو كل همزة ساكنة إلا في حالات استثنائية مثل :

- إذا كان تركها أثقل من إثباتها مثل تؤيه
- في حالة الجزم تسؤهم- إن نشأْ

ووقف العرب على مرسوم الخط فذكر السيوطي اجماع الأئمة على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف ابدالا واثباتا وحذفا ووصلا وقطعا وذكر مواضع لا ترسم فيها الألف والياء والواو: أيه المؤمنون - أيه الساحر، وهناك فئة من القراء تتبع الرسم في الجميع أما الداني فذكر أن الرواية أثبتت عن نافع وأبي عمرو والكوفيين أنهم كانوا يقفون على المرسوم ولايوجد شيئ يذكر من هذا القبيل عند ابن كثير وابن عامر.

5 خـاتـمـة

إن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه المولى عز وجل كل شيء أبان فيه كل هدي فإذا فتحت له معاهد الغرب أبوابها كانت أبواب معاهدنا من باب اولى وإذا اهتم الأجنبي بدراسته كان الطالب العربي بدراسته أجدر خاصة إذا صقلها بالدقة والعلم الصحيح.

الاحالات والمراجع

فرى الخلق : التقدير لتقدير الأمر ثم إمضاء وتنفيد العزم عليه خلقت الأديم إذا قدرته لتقطعه، نلاحظ حذف الياء (يفرى وسكن الراء ولم يطلق القافية)

يقصد بعنزة بن أسد بن ربيعة.

1- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، وبهامشه إعجاز القرآن، القاضي أبي بكر الباقلاني، ج1، القاهرة 1951.

2- الأصوات العربية، إبراهيم أنيس، ط4، القاهرة 1971.

3- دراسة اللهجات العربية القديمة، د. داوود سلوم، ط1، عالم الكتب، بيروت 1986.

4- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1966 .

5- كتاب التيسير في القراءات السبع، الداني ، اسطنبول1930.